حراسة العفاف

{تدبُّر سورة النور}

م. علاء حامد

ملخص المحاضرة الرابعة

علاء حامد

كان الفارق بين حادثة الإفك وبين نزول الوحي شهراً كاملاً!

فتخيلوا أن يعيش النبي عليه الصلاة والسلام شهرا كاملا يتهم في عرضه وأن يعيش الصحابة وعرض نبيهم عليه الصلاة والسلام متهم في مجتمع يتربص بهم ، وكثر فيه النفاق ويتربص فيه اليهود وغير ذلك!

لا شك أنه كان من الصعوبة بمكان على النبي عليه الصلاة والسلام وكان شهراً أليماً. !

فعاش النبي عليه الصلاة والسلام شهراً ليس هو فقط بل عائشه وأبو بكر وأم عائشة

وعائشة رضي الله عنها وأرضاها كيف مر عليهم هذا الشهر؟!

لا شك أنه كان مليء بالهم والحزن والغم وانشغال البال.

الثلاثة الذي أقام عليهم النبي ﷺ حد القذف (حمنة بنت جحش ، حسان بن ثابت ، مسطح بن أثاثة)

خطورة مخالطة أهل النفاق وخطورة أن يعرض الإنسان سمعه لهذه الكلمات الفاحشة فينبغي للإنسان أن يحترس ممن يخالطهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ}

والإفك هو الكذب الشديد والإفتراء الذي لا دليل عليه

كلمة المؤتفكة والإفك والمأفوك هو الشيء المقلوب

{عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ} عصبة يعني جماعة منكم ومجموعة

إذا رغم إن الذي بدأ هذه الحادثة عبد الله بن أبي بن سلول رأس النفاق

إلا أنه سرعان ما ألتف حوله عصبة من المنافقين أمثاله استغلوا هذه الفرصة لحرب الإسلام وللطعن في الإسلام!

وكما بينا أن المقصود بهذه الإشاعة هو : النبي عليه الصلاة والسلام وليس المقصود عائشة

خطر المنافقين أن يكونوا وسط أهل الإسلام فهؤلاء أشد خطر من اليهود والنصارى ومن الأعداء المعروفين بعدائهم

{ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ }

الحادث عموماً كان خير وتأخير الوحي كان خير ، إن من الخير الذي حصل في هذه الحادثة أن الله تعالى أظهر للرسول عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين حال المنافقين

قال ابن القيم في زاد المعاد "ومن الخير الذي حصل أن تمت العبودية المرادة من عائشة رضي الله عنها وأبويها واشتدت الرغبة منها ومن أبويها والإفتقار إلى الله والذل إليه وحسن الظن به والرجاء له ، وانقطع رجاؤها من المخلوقين وتيأس من حصول النصرة والفرج على يد أحدٍ خلق وقد وفت عائشة رضي الله عنها هذا المقام حقه

لما قال لها أبويها وقد أنزل الله عليه براءتها : قومي إلى رسول الله ﷺ فقالت والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذي أنزل برائتي.

وهو قول يدل على معرفتها وقوة إيمانها ومتوليتها النعمة لربها وإفراده بالحمد في ذلك المقام وتجريدها للتوحيد وكان من الحكمة أيضاً أن هذه الفتنة استشرفت قلوب المؤمنين فلما نزل الوحي نزل عليه مورد الغيث على الأرض أحوج من أنت إليه فوقع منهم أعظم موقع وألطفه وسروا به أتم السرور

واظهر الله تعالى في هذه الحادثة منزلة رسوله وأهل بيته عنده وكرامتهم عليه وأخرج رسوله من هذه القضية وتولى بنفسه والمنافحة عنه والرد على أعدائه"

أحياناً بيكون الإنسان لا يملك إلا ما فعلته عائشة { فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ }

الصبر ليس أمراً هيناً والله ثم والله الصبر أمر هائل وسلاح غير عادي لكن إذا وفقنا فيه

{لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ }

كل واحد تكلم له نصيب من الإثم نصيبك من الإثم على حسب دورك في نشر الفاحشة

مشاهدتك للمسلسل أو الفيلم أو سماعك للأغنية يساعد في نشر الفاحشة فلك أيضا نصيب من الإثم !!

النبي عليه الصلاة والسلام يقول : " إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على المرء حتى يهلكنه"

مسطح وحمنة وحسان هل ما زال لهم نصيب من الإثم ؟

نقول: لا

لماذا ؟ لأنه أقيم عليهم الحد ، بالإضافة أنهم تابو وأي ذنب يغفر بالتوبة

هل الحد أقيم على المنافقين؟ لا النبي عليه الصلاة والسلام لم يقم الحد على المنافقين لماذا؟ قيل فيها أقوال:

القول الأول: الحد لا يكفر عن المنافقين الذنب الحد الذي هو : ثمانين جلدة

القول الثاني : أن الله سبحانه وتعالى أراد بذلك أن لا يخفف عنهم العذاب الذي سينالهم يوم القيامة حتى يستوفوا عذابهم كاملاً يوم القيامة.

القول الثالث : لأن المنافقين كانوا يتكلمون في بعضهم البعض فلم يثبت عليهم الكلام

{ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ }

لما ربنا أنزل آية في عبد الله بن أبي بن سلول قالوا اتعرف بالقرآن

لماذا لم يقم النبي عليه الصلاة والسلام عليه الحد ؟

القول الأول : لكي يستوفي العذاب ف لكي لا يخفف الحد عنه هذا العذاب العظيم لم يقم عليه الحد في الدنيا.

القول الثاني : أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يقم عليه الحد لأن إقامة الحد على عبدالله بن أبي بن سلول كانت هتحدث مفسدة ضخمة جداً في المدينة هائلة في المدينة.

النبي عليه الصلاة والسلام لما قال : "من يعذرني في رجل بلغني أذاه في أهلي ، لما قام سعد بن معاذ وقال : يا رسول الله إن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا ما تريد فقام سعد بن عبادة وانكر عليه قال : والله لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن حضير وقال : إنك رجل منافق تناضل عن المنافقين"

النبي عليه الصلاة والسلام تجنب ذلك كنوع من السياسة واكتفى بأن الله سبحانه وتعالى فضحه واكتفى عليه الصلاة والسلام بما سيؤول أمره يوم القيامة إلى العذاب العظيم.

{لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ}

لو سمعت كلام فاحش عن شخص ما أنت تعلم عنه كل الخير..ماذا تفعل؟

التدرج في التعامل مع الخبر دا :

الخطوة الأولى هو: إعمال الدليل الباطن

هل تعلم عنه ذلك ؟ هل مثل هذا الشخص يفعل ذلك ؟

فإذا كانت إجابتك في نفسك لا فالأصل إنك ترد الكلام ولا تقبله وترفضه ولا تسترسل معه.

تقول لا يمكن ، أنا لا أصدق ذلك أبداً لأنني أعلم عنه خلاف ذلك

تجد في طريقة راقية في القرآن ربنا يعبر عن أخوك بنفسك

موقف أبو أيوب الأنصاري وهو اسمه خالد بن زيد ، أبو أيوب الانصاري جالس مع أم أيوب

ف أم أيوب قالت له : يا أبا أيوب أما تسمع ما يقول الناس في عائشة رضي الله عنها ؟

هي بتقول : أما سمعت يا أبا أيوب ما يقول الناس في عائشة ؟

قال : نعم ، وذلك الكذب ، يا أم أيوب لو إنك مكان عائشة أكنت تفعلين ذلك؟

قالت : لا والله ما كنت أفعل ذلك.

قال : فعائشة والله خيرٌ منك

{ وَقَالُواْ هَـٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ} لماذا؟ لأنه ظاهر الكذب ظاهر فيه أوي لماذا ظاهر فيه أوي ؟

أولاً : لأن عائشة معروفة بين الناس.

وثانياً : عائشة من أطهر الناس بين النساء.

الأمر الثالث : أنها زوج النبي عليه الصلاة والسلام ولا يمكن أبداً إن ربنا يبتلي نبيه بإمرأة سيئة في قضية الفاحشة بالذات

الأمر الرابع : إن صفوان حينما دخل مع عائشة في المدينة دخل في الظهيرة صلاة الظهر

الخطوة الثانية في التعامل مع الخبر: طلب الدليل الظاهر

{ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ }

نخطئ في ترك إقامة حد خير لنا من أن نخطئ إقامة الحد

{وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}

ربنا بيقول لولا إن أنا تفضلت عليكم كنت عذبتكم كلكم عذاب عظيم

ربنا حليم لا يعجل بالعقوبة يؤخرها تماماً للعبد حتى يتوب

{ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ}

{وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم} هذا نوع من من العتاب والتأنيب والتوبيخ إن أنت تقول ببوقك بس لأن قلبك مش مصدق

{مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ} إذا لم يكن عندك علم لا تتكلم

قاعدة عظيمة خدها في حياتك

وكان لقمان الحكيم يقول : الصمت حكمة وقليل فاعله.

وكم حصل مفاسد في البلد بسبب إشاعة كل الأخبار وكفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما يسمع

{وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ}

كم من ذئب نفعله ونحن نحسبه هيناً!!!

حسبوا كلام في عرض النبي عليه الصلاة والسلام أمر هين ، وهو عظيم عند الله سبحانه وتعالى !!

فتعلموا السلف من هذه الآيات ألا يحتقروا ذنباً.

ولذلك يقول أنس للتابعين : "والله إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعرة كنا نعدها على عهد رسول الله صلى وسلم من الموبقات"

{ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا} كلمة عادي هي دي ترجمتها!!!

لا تنظر إلى صغر المعصية ولكن انظر من عصيت!!

حبك الله سبحانه وتعالى إحساسك بما يستحقه الله سبحانه وتعالى

الصغائر الكثير ممكن تجتمع عليك وتهلكك والصغير مع الإصرار والإستهتار ممكن تتحول إلى كبيرة !

قالوا : لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار والعكس.

قاعدة : كلما كان الذئب في عينك أصغر كان عند الله أكبر وكلما كان الذنب في عينك أكبر كان عند الله أصغر

{ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ}

موقف زينب بنت جحش زوج النبي عليه الصلاة والسلام

قالت عائشة : " وكان النبي عليه الصلاة والسلام قد سأل علي زينب بنت جحش في أمري

فقال يا زينب ماذا علمت أو رأيت ؟

فقالت : يا رسول الله أحمي سمعي وبصري ما علمت عليها إلا خيراً.

قالت عائشة : وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي عليه الصلاة والسلام فعصمها الله بالورع "

" وَعَينُ الرضا عَن كُلَّ عَيبٍ كَلِيلَةً وَلَكِنْ عَينَ السُخْطِ تُبدي المَساوِيا "

{ سُبْحَـٰنَكَ} ده تنزيه الله عن النقص وجاءت هنا ينزه الله نفسه أن تكون زوجة نبي تفعل مثل هذا الفاحشة ينزه نفسه أن يختار لنبيه زوجه تفعل مثل هذه الفاحشة

السيدة عائشة النبي عليه الصلاة والسلام جاءته في المنام رأى رؤيا بذلك.. فربنا هو الذي اختار عائشة أصلا للنبي صلي الله عليه وسلم

فينزه نفسه أن يختار لنبيه زوجاً هو يعلم أنها ستفعل ذلك

{يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}

نقول من وقع في عائشة وتكلم في عرضها بعد نزول هذه الآيات فهو كافر خارج من الملة

لذلك مثلا أهل العلم بيختلفوا في مسألة سب الصحابة

هل سب الصحابة كفر ولا كبيرة ؟

لكن الفريقين متفقين إن لو حد سب عائشة بالزنا بالذات فهذا كافر بلا خلاف

{ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}

{إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}

أن إشاعة الفاحشة طبعاً بيهونها على الناس وبيطفئ كراهيتها

فكل ما الشيء يشيع كل ما يهون في قلوب الناس فيبقى الفاحشة هي السبب في المزيد الفاحشة ثم الاشاعة سبب في المزيد حتى يتفاقم الأمر

كده ربنا بيهدد لأن شيوع الفاحشة هو سبب كل المصايب

موقفنا إحنا نحارب الفاحشة نكرها نصد عنها ننافح ضد الفاحشة دي ، نكون جنود الله { يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ } نكون أنصار الله في هذا الموقف

{ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ }

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.